التكافل الاجتماعي في الإسلام

الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

التكافل الاجتماعي في الإسلام

التكافل الاجتماعي في الإسلام

الدرس الديني
الذي ألقاه بحضرة أمير المؤمنين
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
تغمده الله برحمته
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
في شهر رمضان الأبرك
يوم الجمعة 6 رمضان عام 1419هـ
الموافق ل 25 دجنبر سنة 1998م
برحاب القصر الملكي العامر بالرباط



عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن:

"إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب".

- متفق عليه -

محاور الـدرس

تمهيد : افتتاح الدرس

المقدمة : سَرْد نصّ الحديث بسَنده
تخريج النصّ
النكت الاصطلاحية

الموضوع: ما يُستفاد من الحديث
التكافل الاجتماعي بناء تشريعي
أُسس التكافل:
1 - الأُساس التربوي للتكافل
2- الأُساس الاقتصادى والمالى
3- الأُساس التشريعي
4- الأُساس السلطاني

الخاتمة: دَوْرُ الأوقاف في ازدهار الحضارة الإسلامية.

المقدمة

- سَرْد نصّ الحديث بسَنَده
- تخْريجُ النصّ
- النكت الاصْطلاحيّة

التكافل الإجتماعي في الإسلام

لفضيلة الأستاذ : عبد الكبير العلوي المدغري
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

انطلاقا من الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : « إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعو لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب ». **(رواه الإمام البخاري رضي الله عنه)**

تمهيد

افتتاح الدرس

الحمد لله رب العالمين، أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، صلاة تخرجنا بها من ظلمات الوهم، وتكرمنا بنور الفهم، وتبين لنا ما أشكل حتى يفهم، إنك تعلم ولا نعلم، وأنت علام الغيوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

مولاي أمير المؤمنين، محط آمال الفقراء والمساكين، والأب الرحيم لليتامى والمستضعفين، الذي جعله الله ظلا في أرضه يأوي إليه الضعيف، وينتصر به المظلوم، السلام على مقامكم الشريف، ومجلسكم المنيف، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، فبالسند المتصل إلى الشيخ الإمام الحافظ الحجة الهمام، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه البخاري الجعفي رحمه الله تعالى ورضي عنه قال في كتاب الزكاة من الجامع الصحيح: باب أخذ الصدقة من الأغنياء، وترد على الفقراء حيث كانوا:

سرد الحديث بسنده

حدثنا محمد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا زكرياء بن إسحاق، عن يحيى ابن عبد الله ابن صيفي، عن أبي معبد مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب».

تخريج النص

هذا الحديث يامولاي أخرجه البخاري أيضا في باب : لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة من نفس الكتاب. كما أخرجه في باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، من كتاب المغازي.

وأخرجه الإمام مسلم في باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، من كتاب الإيمان من صحيحه.

كما أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد وإسحاق بن راهويه وابن خزيمة وغيرهم.

النكت الاصطلاحية

وفي سنده بحث، فبحسب السند الذي ذكرناه في صحيح البخاري. الحديث مروي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ، فهو يروي الحديث عن الرسول ﷺ بدون واسطة، فهو مسند.

وبحسب ما ذكره الإمام مسلم فسيدنا ابن عباس يروي هذا الحديث عن معاذ عن النبي ﷺ، فيكون الحديث إما مسندا باعتبار أن ابن عباس يرويه عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ، وإما مرسلا باعتبار أن الواسطة التي بين ابن عباس وبين الرسول ﷺ وهو معاذ سقطت في السند الأول المذكور في البخاري.

كما أن فيه بحثا من جهة أنه من خبر الآحاد.

الموضوع

- ما يُستفاد من الحديث
- التكافل الاجتماعي بناء تشريعي
- أُسس التكافل

1. الأساس التربوي للتكافل
2. الأساس الاقتصادي
3. الأساس التشريعي
4. الأساس السلطاني

ما يستفاد من الحديث

وقول البخاري في باب أخذ الصدقة : وترد في الفقراء حيث كانوا. قالوا : ظاهر الحديث أن الصدقة ترد على فقراء من أخذت من أغنيائهم، ولا يجوز نقلها إلى بلد آخر، والجمهور على ترك النقل. فإن وقع النقل أجزأ عند المالكية، ولم يجزي* عند الشافعية.

وقوله ﷺ : «ستأتي قوما أهل كتاب»، فيه تنبيه على أن أهل الكتاب أهل علم، فلا تكون مخاطبتهم مثل مخاطبة الجهال من المشركين وعبدة الأوثان، وقوله ﷺ : «تؤخذ من أغنيائهم»، فيه دليل على أن الإمام هو الذي يتولى قبض الزكاة بواسطة العاملين عليها، فمن امتنع منها يجوز أخذها منه قهرا، عملا بقوله تعالى : ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾.

التكافل الاجتماعي

بناء تشريعي

وقوله : «فإياك وكرائم أموالهم» الكرائم جمع كريمة. أي : نفيسة. أي لا تأخذ نفائس أموال الناس إلا برضاهم.

أسس التكافل الإجتماعي

وأنطلق من هذا الحديث المبارك الشريف مستهديا بأنواره، مستمدا من فوائده وأسراره، للكلام عن التكافل الاجتماعي في الإسلام، والذي هو الموضوع البارز فيه، سواء عندما تحدث ﷺ عن الصدقة التي تؤخذ من الأغنياء وترد في الفقراء، أو عندما تكلم عن كرائم الأموال، أو عندما حذر من دعوة المظلوم، وسأحاول بعون الله وتوفيقه أن أختصر الكلام في مقدمة وأسس أربعة، أرى أن التكافل الاجتماعي في الإسلام يقوم عليها؛ وهي :

- الأساس التربوي.
- الأساس الاقتصادي والمالي.
- الأساس التشريعي.
- الأساس السلطاني.

فأقول، وبالله التوفيق :

عندما نتحدث عن التكافل الاجتماعي في الإسلام، يحسب بعض الناس أن الإسلام لم يأت في هذا الباب إلا بمجموعة من المواعظ، وقدر من الإرشاد والنصائح، يثير بها شفقة المحسنين الكرماء، وأريحية الموسرين الفضلاء، ولا يظنون أن التكافل الاجتماعي في الإسلام بناء تشريعي محكم، ونظام دقيق مستحكم، منوط بالدولة فرض احترامه، وحماية قواعده وأحكامه. فالإسلام في هذه الميادين التي تمس حياة الإنسان، حدد

مقاصد ضرورية أساسية، لابد من حفظها، ومقاصد حاجية وأخرى تحسينية تحيط بالضرورية وتحميها. ولم يكتف في حفظ ذلك بالوعظ والإرشاد بل جاء بأحكام إلزامية تكليفية، مفصلة ودقيقة، كما جاء بالأجهزة التي تسهر على تنفيذ تلك الأحكام.

فالإسلام ليس دين وعظ وإرشاد فقط، وهو ليس دين أخرويات وروحانيات فقط، ولكنه دين ينظم الدنيا، وهو ثقافة وحضارة ونمط حياة، وهو يقدم بديلا للمجتمع المادي في صيغة المجتمع الرباني الذي جاء ببناء جديد لشخصية الفرد، ومؤسسة الدولة وكيان المجتمع.

على أننا إذا كنا في مجال التكافل الاجتماعي ندعو الناس إلى التأمل في ما جاء به الإسلام من قواعد وأحكام، وبذل الجهد الفكري اللازم لإدراك مضامينها وأسرارها، فإننا لاننسى أن المجتمع الإنساني قد هدته تجربته الطويلة، وأبحاثه في علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة إلى استحداث نظام دقيق وفعال يضمن التكافل والتضامن والتآزر بين بني البشر على نحو يدعو إلى التقدير والإكبار، الشيء الذي يفرض علينا نحن المسلمين الاستفادة من مزاياه، والأخذ بأحسن ما فيه.

وسأحاول في هذا الدرس الذي أشرف بإلقائه بين يدي أمير المومنين، أدام الله علينا نعمة وجوده، وزاد في كرمه وإحسانه وجوده، أن ألقي نظرة شمولية إجمالية سريعة على بناء نظام

التكافل الاجتماعي في الإسلام بما يوضح - إن شاء الله - معالمه، وينشر في الناس محاسنه ومكارمه.

وأبادر إلى الاعتراف بأن خطاب جلالتكم يامولاي في ليلة القدر المباركة من العام الماضي وما أمرتم به من تطبيق فريضة الزكاة كان نبراسا هاديا في موضوع هذا الدرس. كما أن أسبوع التضامن من أجل محاربة الفقر الذي أشرف عليه بكل كفاءة واقتدار، صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير الجليل سيدي محمد كان وراء التأملات التي ألخصها فيه.

قلت إن التكافل الاجتماعي في الإسلام ليس مجرد وعظ وإرشاد، وإنما هو بناء تشريعي متكامل، ونظام اجتماعي شامل، هدفه الأسمى هو ضمان العيش الكريم لكل فرد في المجتمع بضمان حقه في المأكل والملبس والمشرب والمسكن وحقه في العمل كلما طلبه، وحقه في حماية دمه وماله وعرضه، بل إن هناك من الصور الجميلة المشرقة في هذا التكافل الاجتماعي الإسلامي ما يجعله في مستوى - حضاريا - فريد. فهو لا يكتفي بضمان الحاجات المادية للإنسان فقط، بل يسمو فوق ذلك، ويطمح إلى خلق التكافل في التعلم، ومحو الجهل، ومحاربة الأمية فيوجب على الجار تعليم جاره وتفقيهه.

روى الحافظ ابن حجر أن النبي ﷺ قال: «ما بال أقوام لايفقهون جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون، والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم،

وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو أعاجلنهم العقوبة».

الأساس التربوي للتكافل

وسنبين - إن شاء الله - الأسس التي بني عليها التكافل الاجتماعي في الإسلام على الترتيب الذي ذكرناه أول الدرس.

ونبدأ ببيان الأساس الأول وهو الأساس التربوي، ويتمثل هذا الأساس في منظومة تربوية قائمة على تربية ممنهجة، هادفة إلى إعادة خلق الفرد والمجتمع خلقا جديدا مشبعا بروح التكافل، ذلك أنه لايمكن لأي نظام اجتماعي أن ينجح دون تربية ينشأ عليها الفرد من صغره في الأسرة والمدرسة، وتكون سائدة منتشرة في المجتمع قيما وأخلاقا تتشبع بها الجماعة وتحميها وتعتبرها داخلة في هويتها.

وتتألف المنظومة التربوية التي اعتمدها الإسلام في هذا الباب من الأهداف التربوية التالية :

الهدف الأول : تصحيح العقيدة، وقد لاحظنا في الحديث موضوع الدرس أن النبي ﷺ قبل أن يأمر معاذا رضي الله عنه بأخذ الصدقة المفروضة من الأغنياء وردها على الفقراء، قال له : «فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله». ومعنى هذا أننا إذا أردنا مجتمعا متكافلا على الطريقة الإسلامية، فلا بد من التفكير قبل كل شيء في بناء العقيدة، وأنه لايمكن

تركيب الإحسان بمفهومه الإسلامي في مجتمع مادي إيمانه بالله مهزوز، ولا يخاف الله، ولا يترقب يوم البعث ولا يقيم الصلاة، لاسيما وأننا قلنا: إن التكافل الاجتماعي في الإسلام جاء في شكل أحكام تكليفية إلهية، فكيف يخضع لها ويطيعها ويلتزم بها ضعيف الإيمان؟ وتصحيح العقيدة أول ما يركز عليه الأنبياء، وينصحون به أقوامهم. قال تعالى: ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾، وهذا أول فارق بين نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام ونظيره في الأنظمة الوضعية. فالتكافل في الإسلام إيماني رباني والمسؤولية فيه مزدوجة دنيوية وأخروية، بينما التكافل في النظام الوضعي مادي بدون روح، اللهم إلا ما فيه من شعور إنساني يحضر ويغيب، ولا يترتب عليه شيء.

لقد أراد الإسلام أن تسري العقيدة الصحيحة والروح الإيمانية في جميع شعب التكافل حتى يرتبط العمل بالله إيمانا واحتسابا، ويكون وراءه ذلك الباعث الروحي المؤدي إلى دوام التضحية وقوتها، ونضرب مثلا بمعاملة الوالدين عند الكبر والعجز: ففي النظام الوضعي نضمن لهما الإيواء في دار العجزة، وننفق عليهما من مالهما، أو مال الصناديق المتخصصة التي قد شاركا في رأس مالها أيام قوتهما. بينما في نظام الإسلام هناك معاملة خاصة، لها

خلفية إيمانية، يلخصها قوله تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً** ﴾.

وعقوق الوالدين في الإسلام من أكبر الكبائر التي تؤدي إلى الخلود في النار، ونفقتهما تجب في مال الولد، ويحكم بها القاضي إن اقتضى الحال؛ والجدة أم، والخالة أم، وإذا لم يكن للوالدين ولد وجبت نفقتهما في بيت المال دون أن يكونا قد شاركا في أي صندوق.

الهدف الثاني : في هذه المنظومة التربوية التي توسل بها الإسلام إلى تحقيق التكافل الإسلامي هو تعريف الإنسان بمكانته الكونية، وإطلاعه على الموقع الرفيع الذي من الله به عليه في الكون وسط جميع المخلوقات، وهو موقع الاستخلاف والاستئمان والتكريم والتفضيل.

فهو الخليفة في الأرض : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾. وهو حامل الأمانة : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان** ﴾. وهو المخصوص بالتكريم والتفضيل : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** ﴾.

فالإنسان في عقيدة الإسلام مكرم من حيث هو إنسان، ولذلك جاء الإحسان في الإسلام إنسانيا، يشمل المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ وجاء التكافل الاجتماعي أيضا إنسانيا يستوعب المجتمع البشري دون تمييز، قال تعالى : ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون، قل ما أنفقم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل، وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم** ﴾.

فالوالدان والأقربون قد يكونون مسلمين وقد يكونون كفارا. وكذلك اليتامى والمساكين وابن السبيل، والآية لاتميز بينهم. روي أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : قدمت علي أمي وهي مشركة، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله : قدمت علي أمي راغبة، أفأصل أمي ؟ قال نعم : صلي أمك. ويروى أن عمر بن الخطاب مر على شيخ يهودي يسأل فأعطاه، ثم أمر خازن المال أن يجري عليه من الصدقة، ووضع عنه الجزية. ومر عمر وهو في طريقه إلى الشام براهب نصراني مجذوم، فأمر بإعطائه من بيت المال راتبا يكفيه ويكفل له حاجته مدى الحياة.

ومما تعهد به خالد بن الوليد لأهل الحيرة قوله : وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام.

أما **الهدف الثالث** الذي استهدفت المنظومة التربوية تحقيقه خدمة للتكافل الاجتماعي، فهو : تهذيب نفس الإنسان بما يجعلها سمحة بالعطاء، سخية بالإحسان، فياضة بالرحمة والشفقة والحنان. وتوسل الإسلام إلى ذلك بوسائل تربوية ناجعة، من شأنها معالجة التكافل في عمقه النفسي بما يخلق الاستعداد القلبي، ويشحذ العزائم نحو عمل الخير، ويسمو به إلى قمم العمل الإنساني النقي، ويعمق الشعور بالرحمة، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. «الراحمون يرحمهم الله». «لاتنزع الرحمة إلا من شقي».

وقد تولى القرآن الكريم خدمة هذه الأغراض والمقاصد النفسية في آيات كثيرة لاتكاد تخلو منها سورة من سوره، من ذلك حرصه على تخفيف حب الدنيا في القلوب بتزهيد الناس فيها، وتهوين قيمتها في نفوسهم حتى لايكون التعلق بها حائلا أمام الإحسان. فقال تعالى في سورة الحديد : ﴿**اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾.

ومنها حرصه في آيات كثيرة على التذكير بالموت إيقاظا لضمير الإنسان حتى يقوم بواجبه نحو الآخرين قبل فوات الأوان، كما قال

تعالى : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن ياتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين، ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها، والله خبير بما تعملون** ﴾.

كما حرص القرآن الكريم على ترسيخ خلق الإيثار، واقتلاع جذور البخل والشح من النفوس، وحملها على الإنفاق من أطيب ما تحب، فقال تعالى في سورة الحشر : ﴿ **والذين تبؤو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾، وقال تعالى في سورة البقرة : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه، واعلموا أن الله غني حميد** ﴾.

كما حرص القرآن الكريم على تطهير النفس من الرياء، وتطهير الإحسان من المن والأذى، وأمر بأن يكون العمل الخيري خالصا لوجه الله تعالى لاسمعة فيه ولا رياء ولا مصالح ولا مكر. فقال تعالى في سورة الإنسان : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله، لانريد منكم جزاء ولا شكورا** ﴾، وقال في سورة البقرة : ﴿ **الذين ينفقون أموالهم في**

سبيل الله ثم لايتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى، والله غني حليم﴾.

ثم إن الإسلام جاء بمفهوم واسع لفعل الخير، ومعنى عريض للصدقة حتى يتساوى الأغنياء والفقراء في العملية التكافلية، وينشأ شعور عام لدى الجميع بكون أبواب الخير كثيرة، وأن خطاب التكافل لايقتصر على الأغنياء، بل إن الفقراء أيضا أمامهم مجال واسع لفعل الخير، وطلب الأجر، والإسهام في التكافل.

وهكذا صرح الرسول الكريم ﷺ بأن كل معروف صدقة، وعمل الإنسان بيده صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، والأمر بالمعروف والخير صدقة، والإمساك عن الشر صدقة، وأن تعدل بين الإثنين صدقة، وأن تعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة. وهذا أيضا من التكافل الاجتماعي، لأن الإنسان إذا أصلح نفسه ومشى إلى الصلاة فقد خفف عبأه على المجتمع، إذ أصبح إنسانا صالحا لايكلف المجتمع ما يكلفه الإنسان غير الصالح من خسائر مادية ومعنوية.

وإلى جانب تصحيح العقيدة وتعريف الإنسان بمكانته الكونية، وتهذيب النفس بما يجعلها سمحة بالعطاء هناك هدف رابع جليل، ومقصد من مقاصد المنظومة التربوية أصيل، ومن أسس التكافل، وهو: غرس الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية، فالفرد

مسؤول عن ذاته وأقواله وأفعاله ﴿ **وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾. والجماعة مسؤولة : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾.

وتجسيدا لهذه المسؤولية فإنه لا يحل لمؤمن أن يبيت ليلته شبعان وجاره جائع. ومن هلك في الغلاء فعلى من قدر إثمه. وقد جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة على كل شخص مثله، وقال : لن يهلك أحد على نصف شبعه.

وأما **الهدف الخامس** : من أهداف المنظومة التربوية الخادمة للتكافل، فهو : غرس الشعور بالأخوة بين المومنين، قال تعالى : ﴿ **إنما المومنون إخوة** ﴾. وقال ﷺ : « والله لايومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». وشبه الرسول ﷺ مجتمع المومنين في توادهم وتراحمهم بالجسد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وجسد رسول الله ﷺ هذه الأخوة بين المومنين بما أقامه من مؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، حتى إن الرجل ليتنازل عن نصف ثروته لأخيه من المهاجرين، وأشركوهم في البيوت، ليعلم الناس أن الأخوة التي بين المومنين ليست مجرد شعار، ولا هي عواطف ومجاملات وإنما هي أخوة حقيقية تصل في وقت الحاجة إلى اقتسام الثروة واقتسام القوت.

وأما **الهدف السادس**، فهو : تربية الفرد والجماعة على الاقتصاد والتوسط في النفقات، وعدم التبذير حتى يتم توفير ما به تسد الحاجات. روي أن الخليفة عمر بن الخطاب سأل رجلا كيف

نفقتك في أهلك ؟ قال حسنة بين سيئتين كما قال تعالى : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾. فالإسراف سيئة والإقتار سيئة والقوام بينهما حسنة. قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ قال ﷺ : «إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة».

فالمجتمع الإسلامي مبني على البساطة والتوسط والاقتصاد في النفقات الشيء الذي يقضي على الطبقية، ويجعل التكافل ضعيف الكلفة، خفيف العبء على الناس.

وأما **الهدف السابع**، فهو : تربية الناس على القناعة بالحلال، والاستغناء بالطيب من الرزق، والابتعاد عن المال الحرام الذي يأتي من طريق الرشوة والاختلاس واستغلال النفوذ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون** ﴾.

ولعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي. ولما كان جزء من الأموال المرصودة للمستضعفين يذهب إلى بطون الطامعين، وكانت الرشاوى ترهق أصحاب الحقوق من الأرامل واليتامى والمساكين، وكان أكل المال الحرام يؤدي إلى احتكار الثروة من طرف طبقة المتسلطين من محدثي النعمة الذين لايخافون الله ولا يرقبون وجهه، فإن حقوق المستضعفين تضيع بضياع الذمم وفساد

الأخلاق، ولذلك حرص الإسلام على تقويم الأخلاق من هذه الناحية خدمة للتكافل الاجتماعي.

وأما **الهدف الثامن**، فهو: تفجير طاقة العمل في الأمة، والاحتياط في باب الإحسان، حتى لايصبح مدعاة إلى الخمول، وقد نص الفقهاء على أنه لايجوز دفع الزكاة لمن تفرغ للعبادة في المساجد إذا كان قادرا على العمل، وقد روي أن سيدنا عمر رضي الله عنه لقي قوما لايعملون، فقال لهم: ما أنتم؟ قالوا: متوكلون. قال: كذبتم. إنما المتوكل رجل ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب العبد المحترف، ويكره العبد البطال». وقال: «إن أشرف الكسب كسب الرجل من عمل يده». وفي الحديث أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ يسأله من المال وهو قوي معافى، فقال له الرسول ﷺ: «أما في بيتك شيء؟ قال: بلى. حِلْسٌ أي غطاء، نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب، أي: إناء نشرب فيه الماء. فقال رسول الله ﷺ: «ائتني بهما». فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: «من يشتري هذين؟ قال رجل أنا آخذهما بدرهم. قال رسول الله ﷺ: «من يزيد على الدرهم» مرة أو مرتين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين؛ فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاري، وقال له: اشتر بأحدهما طعاما فأنبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوما فائتني به. فأتاه فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده، ثم قال: «إذهب فاحتطب،

ولا أرينك خمسة عشر يوما». ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبا وبعضها طعاما، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة». رواه أبو داود والبيهقي والترمذي.

ومما يروى في هذا الباب أيضا: «ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، إنما المسكين الذي ليس له غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئا». فالإسلام لايرضى التسول لمسلم. وهو لايعطي للقادر على العمل، وهو يقدس العمل ويحض الناس عليه، ويأمرهم به، ويرزقهم ثوابه.

وأما **الهدف التاسع**، فهو: تحريم الظلم خدمة للتكافل الاجتماعي، ذلك أن التظالم مناقض للتكافل. والمجتمع الذي يسود فيه الظلم تنتفي فيه الرحمة، وتفشو فيه الكراهية والحقد والنقمة، ولذلك قال تعالى في الحديث القدسي: «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا». وأكد القرآن الكريم على الأمر بالعدل والنهي عن الظلم، وربط العدل بالإحسان تنبيها على تلازمهما فقال: **﴿إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون﴾**.

ومن هذا القبيل أيضا ما ورد في الحديث موضوع الدرس حين قال مولانا رسول الله ﷺ لمعاذ في آخر الحديث: «واتق دعوة

المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب». هذا ما يتعلق بالأساس الأول الذي أسس عليه التكافل الاجتماعي في الإسلام والمشتمل على المنظومة التربوية.

الأساس الاقتصادي والمالي

وننتقل إلى الحديث عن الأساس الثاني وهو الأساس الاقتصادي والمالي، ويحتوي على مجموعة من التوجهات الأساسية التي من شأنها خلق المجتمع القوي اقتصاديا وماليا، وخلق الثروة التي بدونها لاتتحقق الوسائل ولا تتوفر الظروف للتكافل.

ومن هذه التوجهات: التمسك بحق الملكية الخاصة والجماعية، وحرية التجارة في حدود الطيبات، والدعوة إلى تنمية المال واستثماره، والأخذ بأسباب المنافسة المؤدية إلى تقوية الإنتاج والاستهلاك، واتخاذ التدابير الشرعية المؤدية إلى إعادة توزيع الثروة، ومنع احتكارها المؤدي إلى الطبقية، واعتماد الوسائل المؤدية إلى رواج رأس المال، وتشجيع الإنفاق، واعتماد القرض الحسن بدل القروض الربوية واعتبار الشغل قيمة اقتصادية.

وقد اهتمت كتب الفقه بالجانب الاقتصادي والمالي، فتضمنت أبوابا في أحكام البيوع، وأنواع المكاسب والشركات، والعقود المشاكلة للبيوع، مثل الإجارات، والجعل والكراء والمساقاة والمزارعة، والمغارسة، والقراض، والقروض وغير ذلك من الأبواب.

كما ألف كبار العلماء كتبا في الأموال، وحفلت كتب النوازل باجتهادات في مجال التدبير الاقتصادي والمالي، الشيء الذي كون تراثا فقهيا هائلا، ودراسات دقيقة تقيم الدليل على أن الإسلام جاء فعلا بنظام اقتصادي ومالي متميز من شأنه خلق الازدهار الاقتصادي، وإشاعة الغنى ومقاومة الفقر. وهذا في حد ذاته من أعظم الوسائل التي أسهم بها الاقتصاد الإسلامي في خدمة التكافل الاجتماعي لأنه خلق الوسائل، وأوجد عند الناس القدرة المالية الضرورية للقيام بواجب الإحسان. ولا أطيل بالحديث في هذا الباب.

الأساس التشريعي

وأنتقل إلى الحديث عن الأساس الثالث، وهو الأساس التشريعي، وهو عبارة عن تقنين لعملية التكافل الاجتماعي بواسطة ترسانة من الأحكام الشرعية ترقى به إلى مقام رفيع، وتقدمه عبادة مالية، وفريضة دينية، وركنا من أركان الإسلام، وليس مجرد أدبيات وأخلاقيات متروكة للعواطف والمزاج.

وهذه الأحكام الشرعية التي يقوم عليها التكافل الاجتماعي في الإسلام تترتب عليها مسؤوليات جزائية دنيوية وأخروية، ويترتب على جحودها وإنكارها الردة. فالتكافل ليس متروكا لاختيار

الأفراد، بل هو تكليف من جملة التكاليف الشرعية، وهو جزء من البناء العام للدين، الذي لخصه الرسول ﷺ في الإيمان والإسلام والإحسان.

وسأحاول هنا التذكير ببعض القواعد والأحكام التي تجعله بالفعل تكليفا شرعيا، يهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة : من ذلك قاعدة أساسية أعتبر أن الإسلام تفرد بها، وعليها بنى نظامه الاجتماعي والاقتصادي، وهي قاعدة : المال مال الله، والعباد مستخلفون فيه.

وهذه القاعدة تمثل بدورها فارقا جوهريا أساسيا بين نظام الإسلام والنظام الوضعي، لافي الشأن الاجتماعي فقط، ولكن في الشأن الاقتصادي أيضا. فرغم وجود آيات تنسب المال إلى الناس، مثل قوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾. وقوله : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾؛ فإن المال في أصله مال الله ونسبته إلى الناس في هذه الآيات من باب تقرير الحال لأنه في أيديهم ويتصرفون فيه، وينسبونه إلى أنفسهم، أما في الحقيقة فالمال مال الله، تؤكد ذلك الأدلة العامة، مثل قوله تعالى : ﴿ **لله ما في السماوات وما في الأرض** ﴾. كما تؤكده الأدلة الخاصة، مثل قوله : ﴿ **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** ﴾. وقوله : ﴿ **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** ﴾.

فالمال مال الله، والعبد مستخلف في هذا المال، وهو بمثابة الوكيل الذي يتصرف في مال موكله بوكالة خاصة، فيجب عليه أن ينفق المال فيما يرضي صاحب المال، وبالقدر الذي يرضيه، لايجوز له شرعا وطبعا أن يخالف أمره في ذلك.

ومن أهم القواعد أيضا في هذا الباب قاعدة أن في المال حقا سوى الزكاة. فبالإضافة إلى الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام، هناك بقية الصدقات، مثل النذور والكفارات، وصدقة الفطر والعشور في مناسبة الحصاد والجني، والأضاحي والأوقاف، والنفقة على الوالدين والأقارب وصلة الرحم، وحقوق المضطر، وحقوق الضيف، وحقوق الجار، والصدقات العادية على عموم الفقراء والمساكين.

وقد تولى التشريع بيان طرق استيفاء هذه الحقوق، ومقاديرها في كل نوع وآداب صرفها، والمستفيدين منها، وشروط ذلك في أحكام مضبوطة تشكل مدونة كاملة للإحسان.

وكان خلفاء المسلمين يتوفرون على ديوان للصدقات أي سجلات، تحصي أصحاب الحاجات والرواتب التي يتقاضونها من بيت المال، وكان أصحاب المال يعطون على قدر أولادهم، وصاحب الفرس يعطى قوته وقوت فرسه، وكل ذلك من أموال الزكاة وهذه الصدقات. وإذا لم تكف هذه الصدقات والعطاءات وصلنا إلى باب آخر إضافي لتمويل التكافل الاجتماعي في

الظروف الاستثنائية وهو باب «العفو» أو فضل المال، قال تعالى : ﴿ **خذ العفو، وامر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين** ﴾.

فسر بعض العلماء العفو في هذه الآية بما فضل من المال عن حاجة صاحبه؛ ويجوز للإمام أن يأخذ من فضل أموال الناس ما يسد به حاجة الفقراء والمساكين، ويجابه به الظروف العصيبة مثل الجوائح والكوارث وغيرها.

ويؤيد ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ قال؛ وكان في حال سفر وشدة : «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له، (أي : من كانت له دابة زائدة فليعطها لمن لا دابة له) ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له» قال أبو سعيد الخدري راوي الحديث : فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في فضل.

ويؤيده أيضا ما حدث به مولانا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي ﷺ قال : «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بالقدر الذي يسع فقراءهم».

ونقل عن أبي بكر بن العربي أنه قال : إذا نزلت جائحة من القحط فلا خلاف بين الأمة أنه ترجع حقوق المحتاجين في رقاب أموال الأغنياء، وعليهم أن يعطوهم كفايتهم، ويقتسموهم على قدر أحوالهم، كل غني يأخذ فقيرا أو عددا من الفقراء يطعمهم من طعامه.

ولذلك أرى أن الحديث موضوع الدرس جاء عاما في الصدقة، ولم يقتصر على الزكاة المعروفة القدر والنسبة، والمقيدة بمرور الحول، إيذانا بأن في المال حقا سوى الزكاة، وإشعارا بأن ما يؤخذ من الأغنياء ويرد على الفقراء قد يشمل كل ما فضل عن حاجة الأغنياء، فقال ﷺ في الحديث : «فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم».

ويتضح من كل ما تقدم في هذه المنظومة التشريعية أن الإسلام شرع أبوابا واسعة لتمويل التكافل الاجتماعي على رأسها الزكاة، ثم بقية الصدقات المقننة المعروفة المقادير المعلومة. الأسباب مثل: صدقة الفطر والكفارات والنذور والعشور وغيرها ثم الصدقات التطوعية التلقائية ثم كل ما فضل عن حاجة الأغنياء في الظروف الاستثنائية إذا دعت الحاجة إليه.

ثم إنه جعل إثم من هلك من شدة الفقر والحاجة على من قدر من أقاربه وجيرانه حتى يصبح كل فرد مسؤولا عن جاره ورفيقه وقريبه.

الأساس السلطاني

ونتناول في الأخير الأساس الرابع من أسس التكافل الاجتماعي في الإسلام، وهو الأداة السلطانية. ذلك أنه لما كان بعض الإحسان إلزاميا كما رأينا. فإن الشرع أناط بالإمام الأعظم الذي له الإمامة

الكبرى والولاية العامة العظمى على الأنفس والأموال مسؤولية استيفاء حقوق الله عز وجل من العباد، وأخذها من الأغنياء وردها على الفقراء. ذلك أن الناس إذا تركوا لاختيارهم فامتنعوا عن أداء حقوق الله، إما بسبب ضعف الوازع الديني أو بسبب البخل، أو لأي سبب آخر، فإن نظام التكافل الاجتماعي سيتعرض للتعطيل والتجميد، فتضيع حقوق الفقراء وتقع ثغرة عظيمة في البناء، مما يؤدي إلى خلل كبير يهدد كيان الأمة بأجمعها، فيتعين على الإمام حينئذ أن يستخدم سلطته وسلطانه، وينتزع حقوق الله من الأغنياء لأنهم مجرد مستخلفين في مال الله الذي آتاهم، ويردها على الفقراء بالعدل والإنصاف.

ويأتي في قمة المال الذي يأخذه الإمام قهرا إن اقتضى الحال مال الزكاة. وهي عبادة مالية وركن من أركان الإسلام، أتت في القرآن مرتبطة دائما بالصلاة تنبيها على عظم قدرها وعلو منزلتها. وهذا الجبر والإلزام الذي في الإسلام لاينبغي أن يقلق بال الأغنياء، أو يفهم منه أن الإسلام ضد الغنى، أو هو دين الفقر والفقراء. بل الإسلام دين الغنى، وقد وضع كما قدمنا قواعد مالية واقتصادية من شأنها خلق الازدهار الاقتصادي والرواج المالي والتنمية الشاملة، وعرفت الأمة الإسلامية عصورا من الازدهار والغنى الفاحش في حقب طويلة من تاريخها، حتى إن خلفاء المسلمين لم يجدوا سببا لجبر الناس على العطاء، وتركوا لهم أمر إخراج الزكاة نفسها تلقائيا دون جباية أو إلزام. وحصل في بعض

العهـود أن المرء يبحث عن الفقير ليعطيه من الزكاة فلا يجده .

ولا نريد في هذا الدرس أن نتحدث عن الزكاة بالتفصيل، لأنها تحتاج بمفردها إلى درس مستقل كما أن مولانا أدام الله حياته بين دورها في التكافل وأثرها في التراحم والتآزر والتضامن بما لا مطلب بعده لمستزيد .

غير أنه من الواجب أن أبين أمرا يتضح به مغزى إحياء فريضة الزكاة في عهدكم الزاهر يامولاي وهو أن إحياء هذا الركن الثالث من أركان الإسلام لايعنى أنه كان معطلا تماما، وإنما كنا في حالة تفويض من أمير المومنين لرعيته لتقوم هي بنفسها بإخراج الزكاة من أموالها الظاهرة والباطنة حسب ما يفرضه عليها دينها .

وكان المفروض أن تقوم الرعية بهذا الواجب تلقائيا، وكان هذا يحصل بالفعل، فلا يستطيع أحد أن يدعي أن الزكاة كانت معطلة في المغرب . كيف والشعب المغربي شعب عريق في الإيمان أصيل في الإسلام، وعلى رأسه أمير المومنين وحامي حمى الملة والدين، كل ما في الأمر هو أن هذه الأموال التي كانت تعطى بكيفية فردية وغير منتظمة، ستسهر الدولة على تنظيم جبايتها وعلى إنفاقها في الوجوه الشرعية المرصودة لها . وليس هناك ما نع من أن يكون التنظيم جزئيا، فتأخذ الجهة المسؤولة على جباية الزكاة مثلا جزءا من الزكاة، وتترك الجزء الآخر لأصحاب المال

يزكونه بأنفسهم، وينفقونه على وجوه البر والخير والإحسان التي يحددونها بنظرهم.

إن الشعب المغربي شعب كريم محسن بطبعه، لكن الإحسان يحتاج إلى عمل دءوب لتفجير طاقته، ومجهود مستمر في تنظيمه. ولا شيء يستطيع تفجير طاقات الإحسان في بلادنا مثل الإيمان، ولا شيء يستطيع تحقيق الأهداف المرجوة منه غير العمل الدءوب من أجل توجيه الإحسان وترشيده وتنظيمه بمشاركة الجمعيات المهتمة بالعمل الاجتماعي والإحساني والإنساني، ومشاركة المحسنين والعلماء وبدعم من الدولة وإشرافها.

الخاتمة

دورُ الأوقاف
في ازدهار الحضارة الإسلاميّة

لقد كانت الأوقاف وحدها في عهود ازدهار الحضارة الإسلامية تغطي مرافق التعليم والصحة وغيرها من الخدمات الاجتماعية، بل كانت تجهز الجيوش من أموالها فضلا عن إغاثة الملهوف، والإنفاق على العجزة والفقراء والمساكين وأبناء السبيل، وما زالت قادرة على هذا الدور، وخدمة التكافل الاجتماعي إذا استمر إحياؤها وتنميتها، واتخاذها كأسلوب لضمان التمويل الدائم لكل عمل اجتماعي نريد له الدوام والاستمرار، كما أن تطبيق الزكاة من شأنه ضمان الموارد المالية الضرورية لكشف الغمة عن طبقة المستضعفين إذا وكل جمعها إلى أهل الفضل والدين، ورأى الناس إنفاقها على الفقراء والمساكين واليتامى والأطفال المشردين، وغيرهم من المحتاجين، وهذا ما نرجو يا مولاي أن يوفقكم الله إليه، ويعينكم عليه، فأنتم رحمة مهداة لهذا البلد. أحيا بكم الله شريعته، وأسبغ بكم على البلاد والعباد خيره ونعمته.

نسأله تعالى أن يديم علينا سعادة وجودكم، ويوطد أركان ملككم، ويبقيكم محروسين بعينه التي لاتنام. محفوظين بسر عنايته التي لاترام، وأن يقر عينكم بسمو ولي عهدكم الأمير الأمجد سيدي محمد، وصنوه السعيد الأمير الرشيد مولاي رشيد، وسائر أفراد أسرتكم الملكية الشريفة إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير. والختم من مولانا أمير المومنين.

اللهم صل أفضل صلواتك على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون.

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين ﴾.

الإيداع القانوني : 1999 / 1532

مطبعة فضالة
زنقة ابن زيدون ـ المحمدية (المغرب)
الهاتف: 32.46.45 (03) الفاكس: 32.46.43 (03)

invocateurs t'invoquent et invoquent ton Prophète ou omettent de T'invoquer et de l'invoquer.

«O transcendance de ton Seigneur, Seigneur de la toute puissance, au-delà de ce qu'ils fabulent! Paix sur les envoyés, louange à Dieu, Seigneur des mondes».

Avant, pendant la période de rayonnement de la civilisation musulmane, le seul département des Habous parvenait à se charger des établissements d'enseignement, de santé et d'autres services sociaux. Ce ministère couvrait même les besoins de l'armée en équipements en plus du secours qu'il apportait aux affligés et des dépenses qu'il effectuait au profit des pauvres, des impotents et des mendiants. Ce département aujourd'hui encore est tout à fait capable de s'acquitter d'un rôle pareil et d'assurer une solidarité sociale progressive et renaissante en tant que mode assurant un financement constant à toute action humanitaire que nous voulons continue, voire pérenne. Par ailleurs, la mise en application de la zakat serait de nature à assurer les moyens financiers nécessaires apportant une lueur d'espoir à la vie des classes démunies ceci, si la collecte en revient aux bienfaiteurs et aux gens de la religion et si tout le monde s'aperçoit que sa redistribution revient effectivement aux pauvres et aux orphelins, à l'enfance marginalisée et autres nécessiteux. C'est ce que, Majesté, nous espérons que Dieu vous assiste à réaliser, car vous êtes pour ce pays un don de clémence. Par vous, Dieu revivifie Sa Loi et comble ce pays et ses habitants de Ses bienfaits.

Que Dieu vous accorde le bonheur, fortifie les piliers de votre pouvoir et veille éternellement sur vous en vous préservant en les personnes de votre Prince Héritier Sidi Mohammad et son bienheureux cadet le Prince Moulay Rachid ainsi que les membres de votre noble famille royale. A l'Emir des croyants de conclure.

Dieu, accorde Tes meilleurs prières et Ton salut à Ton noble prophète Mohammad, à sa famille et à ses compagnons. Nos invocations, aussi nombreuses que Tes connaissances et Tes paroles chaque fois que tes

Conclusion

Le rôle des habous dans le rayonnement de la civilisation musulmane.

Il était donc du devoir des gens de s'acquitter de cette obligation spontanément et c'est ce à quoi nous assistions en fait. Nul en effet ne peut prétendre que l'aumône légale (zakat) ait connu quelque disfonctionnement au Maroc.

Comment cela se pourrait-il alors que le peuple marocain possède une foi ferme et authentique et qu'il se trouve à sa tête l'Emir des croyants et le protecteur de la religion? Seulement, aujourd'hui, ces prélèvements qui s'effectuaient spontanément et d'une manière individuelle, il revient à l'Etat d'en organiser la collecte et la dépense conformément aux Lois qui régissent cette aumône. Rien n'empêche en outre que cette organisation se fasse par subdivision. Ainsi, le département chargé des impôts prélèvera par exemple une proportion de cette aumône et laissera le reste aux redevables qui en feront don eux-mêmes et feront acte charitable de bienfaisance de la manière pour laquelle ils auront eux-mêmes opté.

Le peuple marocain est par nature généreux. Cependant, la bienfaisance nécessite une action assidue et un effort organisationnel permanent pour que les énergies puissent s'exprimer. Rien en effet ne peut stimuler la charité comme le ferait la foi. Rien non plus ne peut réaliser les objectifs qu'on s'assigne comme le travail soutenu dans l'orientation et l'organisation de l'œuvre de charité en partenariat avec les organisations humanitaires, avec la participation des gens charitables et des ulémas et avec l'appui de l'Etat et sous son patronage.

devoir strict et fait partie des obligations canoniques de l'Islam. Dieu en effet la met dans son Coran juste après la prière pour nous en signifier toute ampleur et le haut rang qu'elle occupe parmi nos devoirs. Néanmoins, cette coercition et cette contrainte ne devraient nullement inquiéter les riches ou êtres interprétées par ceux-ci en tant que tribut à payer à la pauvreté et aux pauvres, car l'Islam est en fait la religion de la richesse.

Cette religion a, comme nous l'avons vu, établi une organisation économique et financière de nature à engendrer le développement économique, une activité financière et une prospérité globale. La preuve en est que pendant de longs siècles, la communauté musulmane a connu un progrès et une prospérité tels, que les califes ne pensaient pas même à un moyen pour amener les gens à verser l'aumône communautaire, car ceux-ci s'en acquittaient spontanément loin de toute contrainte et de toute administration fiscale. Il est même arrivé pendant certaines périodes qu'on ne trouvât pas de pauvre à qui verser cette aumône.

Notre intention ici n'est pas d'aborder le sujet de la zakat qui nécessite à elle seule une conférence à part. Par ailleurs, Sa Majesté, que Dieu le préserve, a suffisamment clarifié le rôle dont cette aumône s'acquitte en matière de solidarité et en a clairement explicité les heureuses incidences sur la clémence, l'entraide et l'esprit associatif.

Majesté,

Je pense néanmoins qu'il est de mon devoir d'insister sur un fait qui n'est pas sans faire apparaître la finalité que vise la revivification de l'impôt communautaire (zakat) sous votre règne propre. C'est qu'en fait, revivifier ce troisième pilier de l'Islam ne signifie nullement que cette aumône connaisse quelque paralysie, car l'acquittement en était seulement délégué par l'Emir des croyants à ses sujets qui en évaluaient eux-mêmes les proportions imposées sur leurs biens apparents et cachés.

en plus de la zakat et signifient d'autre part, que ce qui est prélevée chez les riches au profit des pauvres pourrait éventuellement concerner tout leur surplus comme le montre la suite du hadith: «S'ils acceptent, informe-les que Dieu leur a prescrit une aumône prélevée chez leur riches au profit de leurs pauvres».

De tout ce que nous avons présenté sur ce système législatif, il ressort que l'Islam a ouvert de larges portes pour le financement de la solidarité sociale dont principalement l'aumône communautaire (zakat), puis le reste des aumônes réglementées par des taux et des proportions déterminés, ensuite des aumônes occasionnelles comme celle de la rupture du jeûne, du repentir, des vœux, la dîme (1/10) et autres, ainsi que les aumônes surrérogatoires et que la personne accomplit de son plein gré et enfin, exceptionnellement et si le besoin s'en fait ressentir, tout le surplus dont disposent les riches. En outre, cette religion considère comme un péché le fait que des parents ou des voisins laissent mourir un des leurs à cause de sa pauvreté afin que chacun se sente responsable de ce qui peut menacer son voisin, ses proches ou ses autres semblables.

4) Le fondement exécutif

Passons enfin au quatrième principe de la solidarité en Islam, à savoir les moyens d'exécution.

Puisque certains actes charitables sont obligatoires, comme nous l'avons vu plus haut, la Loi divine prépose l'Imam qui incarne la plus haute autorité religieuse et temporelle de faire prévaloir les droits que Dieu a établis à Ses créatures en les prélevant aux riches pour les restituer aux pauvres. C'est qu'en effet, si ces droits étaient laissés à leur appréciation personnelle, les gens ne les auraient pas respectés soit par avarice, soit par absence de contrainte religieuse ou pour toute autre raison. Partant, tout le système de la solidarité sociale s'exposerait au désordre et à la sclérose.

Parmi les biens à prélever par l'Imam par coercition s'il le faut, se trouve le produit de l'aumône communautaire (zakat), car celle-ci est un

Prophète: «**Fais-toi conciliant, ordonne ce qui est bien et évite les ignorants».**

Certains spécialistes ont expliqué la conciliation ici (littéralement prends ce qui concilie) comme étant le surplus lorsque la personne a satisfait ses besoins essentiels. Partant, le Chef de l'Etat est en droit de prélever de ce surplus ce qui peut amortir les dépenses des pauvres et des indigents ou ce qui permettrait à ce dernier d'affronter toute sorte de calamité comme les famines ou les épidémies.

Cette approche se trouve corroborée par l'Imam Muslim dans son «corpus authentique» (Sahih), et Abu Dawud dans son Livre des traditions (Sunan) qui, tous deux, rapportent que le Prophète (P.S) a dit: «Celui qui a une monture en plus, qu'il la donne à celui qui n'en a pas et celui qui a quelque nourriture en plus qu'il la donne à celui qui n'en a pas...». Le dernier garant de ce propos, Abu Saïd al Khudri ajoute que le Prophète se mit alors à citer un grand nombre de genres de biens à partager, au point où nous avions compris que nous n'avions droit à aucun excèdent de quelque ordre que ce soit.

Par ailleurs Ali ibn Abi Talib, que Dieu soit satisfait de lui, a rapporté que le Prophète (P.S) a dit: «Dieu a exigé que les nantis parmi les croyants donnent de leur bien une quantité qui suffise à leurs pauvres».

Toujours dans le même sens, Abu Bakr ibn al'Arabi a dit: «Dans le cas d'une sécheresse terrible, la communauté est unanime pour que les droits des nécessiteux soient prélevés sur les biens de leurs riches qui devront leur donner ce qui leur suffirait en se chargeant d'eux proportionnellement à leurs biens. Chaque personne nantie devra alors se charger d'un pauvre ou un nombre de pauvres pour les nourrir».

Partant, j'estime que le hadith objet de notre conférence revêt, concernant la dîme, un aspect général et ne se limite pas à la taxe (zakat) dont le taux et le cycle (une année) sont bien déterminés. Les termes du hadith laissent présager d'une part que sur les biens, il existe d'autres droits

librement ses biens comme s'ils lui appartenaient effectivement. Maints versets établissent cette vérité comme lorsque Dieu dit: **«A Dieu appartient ce qui est dans les cieux et ce qui est sur terre»**; et aussi: **«Donnez-leur des biens que Dieu vous a attribués»** ainsi que: **«Dépensez en aumône de ce dont Dieu vous a fait pour un temps dévolutaires».**

Les biens en définitive -disons le- appartiennent à Dieu et l'homme n'en a que la charge. Celui-ci en est en fait le régisseur qui en a eu la charge par disposition d'un mandat spécial. Il doit donc gérer ce bien selon ce qui satisfait Dieu qui, a fait de lui son délégué et il ne devrait pas, aussi bien naturellement que légalement, enfreindre Ses prescriptions concernant cette gestion.

Parmi les règles essentielles de ce système législatif, citons le fait que les biens comportent une part déterminée pour l'aumône communautaire (Zakat). Outre le fait que cette aumône fait partie de cinq piliers de l'Islam, nous en trouvons d'autres comme les aumônes votives, l'aumône de la rupture du jeûne, les rentes de main morte, les dépenses au profit des parents et des proches, et la dîme (1/10) à l'occasion des moissons et des cueillettes, ainsi de les droits que nous devons aux indigents, aux hôtes, aux voisins et d'autres aumônes courantes accordées aux pauvres et aux démunis.

Par ailleurs, cette législation s'est chargée de déterminer le mode de recouvrement de tous ces droits, en a estimé les taux et a déterminé la manière de les redistribuer à leurs ayants-droit. Des normes en somme qui établissent toutes les conditions nécessaires et constituent un code complet de la charité.

Les califes Musulmans possédaient des registres où se trouvaient recensés les nécessiteux et les rentes qu'ils percevaient du Trésor public. Les nantis, eux, donnaient proportionnellement au nombre de leur progéniture alors que celui qui ne possédait qu'une monture donnait comme charité la force de son cheval. Tout un capital formé de la Zakat et des aumônes qui, s'ils ne suffisaient pas, incitait au recours à une espèce d'amnistie (sous forme de rémission des pêchés) conformément aux paroles où Dieu dit à son

3) Le fondement législatif

Pour ce qui est du troisième principe, le principe législatif en l'occurrence, il consiste à codifier la fonction de solidarité sociale par le renforcement des normes légales qui l'élèvent au plus haut rang et en font une obligation religieuse au même plan que les piliers de l'Islam comme la prière et non pas de simples attitudes éthiques et des sentiments humains dépendant de nos humeurs instables.

De ces normes découle une responsabilité donnant lieu à une rétribution ici-bas et dans l'au-delà, mais le non respect de ces lois est considéré comme une apostasie.

En effet, en Islam, la solidarité n'est point laissée à l'appréciation de la personne, mais représente un devoir parmi les obligations légales et fait partie des fondements de la religion que le Prophète (P.S) résume dans la foi, la soumission (à Dieu) et la charité.

Permettez-moi d'essayer de présenter ici certaines de ces règles et de ces normes qui font de la solidarité une obligation légale pour la réalisation du bonheur humain ici-bas et dans l'au-delà. Il est un principe essentiel dans ce sens et que je considère comme unique, tout à fait singulier en Islam, sur lequel cette religion fonde tout son système socio-économique et qui s'énonce comme suit: les biens appartiennent tous à Dieu et les êtres humains n'en sont responsables qu'en tant que dépositaires.

C'est en effet là une règle qui différencie nettement les systèmes positivistes du système islamique, non seulement du point de vue social, mais aussi sur le plan économique. Malgré la présence dans le Coran de versets qui attribuent les biens aux personnes comme lorsque Dieu dit: **«O vous qui croyez, abstenez-vous de vous emparer mutuellement de vos biens par des procédés malhonnêtes»**, ainsi que: **«Prends soin de prélever sur leurs biens une aumône pour les purifier et les rendre meilleurs»**, les biens, disions-nous, sont à l'origine la propriété de Dieu et ne sont attribués à l'homme dans ces versets que pour établir un état, puisque celui-ci utilise

Parmi ces orientations citons entre autres:

- Le respect de la propriété individuelle et collective,
- Le libre échange dans les limites du licite,
- L'appui au développement économique et à l'investissement,
- Autorisation d'une concurrence menant au développement de la production et de la consommation,
- Conception de dispositions législatives permettant la redistribution des richesses,
- Interdiction des monopoles donnant lieu aux différences de classes,
- Encouragement des moyens permettant la circulation du capital,
- Incitation aux dépenses et à la consommation,
- Recours à un système de crédit raisonnable et non usurier,
- Acception du travail en tant que valeur économique.

Les juristes musulmans se sont, dans leurs écrits, intéressés à l'aspect économique et financier de la vie sociale et ont donc réservé des chapitres entiers aux normes des transactions commerciales, des acquisitions et des associations, comme ils se sont aussi penchés sur les principes des contrats de vente tels que, les gages, la location, les successions, les baux et le bail à comptant, les prêts, les avances et bien d'autres transactions. Les grands jurisconsultes ont composé des ouvrages sur les biens et leurs nombreux écrits sur les cas d'espèce comportent maints efforts intellectuels sur l'organisation économique et financière de la société. Tout cela constitua par la suite un riche patrimoine jurisprudentiel comportant de nombreuses études précises en tant que preuve que l'Islam a effectivement conçu un système économique et financier spécifique pour la promotion du développement et du progrès et la lutte contre la pauvreté. Ce qui en soi constitue l'un des moyens par lesquels l'économie islamique participe à la promotion de la solidarité sociale du moment qu'elle parvient pour cela à en créer les moyens en mettant à la disposition des gens la capacité financière d'être charitable et de faire œuvre de bienfaisance. Je n'ajouterai rien à ce sujet.

visage le jour de la résurrection». Dans le même sens, on rapporte aussi que le Prophète (P.S) a dit: «L'Islam aimerait certainement qu'aucun croyant ne mendie et n'est pas pour qu'on fasse l'aumône à une personne capable de travailler, car pour cette confession, le travail auquel il incite, voire qu'il prescrit est sacré et trouve sa rétribution auprès de Dieu».

Le Neuvième objectif au service de la solidarité sociale voudrait combattre l'injustice en l'interdisant aux croyants. C'est qu'en effet l'injustice contredit et s'oppose à tout projet de solidarité. Une société où se répand l'injustice ne connaît point de clémence et n'y règne que haine, hostilité et rancœur. Dieu dit dans un hadith quodsi: «O Mes créatures, l'injustice, je Me la suis interdite à Moi-même et l'ai rendue illicite entre vous. Ne soyez donc pas injustes !». Le Coran par ailleurs prescrit la justice, interdit l'injustice et établit un lien intime entre justice et charité:

«Dieu prescrit l'équité, la charité, l'assistance bienveillante aux proches. Il proscrit la turpitude, réprouve l'inconvenance, stigmatise la violence injustifiée. Dieu vous exhorte ainsi pour vous inciter à réfléchir».

Toujours dans ce sens, citons les termes du hadith objet de cette conférence lorsque le Prophète (P.S) exhorte ainsi Mu'ad ibn Jabal: «Crains surtout la réclamation du pauvre, car entre lui et Dieu il n'existe aucun obstacle».

Tels sont en somme les objectifs en relation avec le premier principe de la solidarité sociale en Islam et du système éducatif qu'il sous-tend.

2) Le fondement économique et financier

Passons maintenant au deuxième principe qui concerne le plan économique et financier et qui comporte un certain nombre de directives primordiales susceptibles de donner lieu à une société forte économiquement et financièrement et de produire la richesse sans laquelle ne se rassemblent ni les moyens ni les conditions de la solidarité sociale.

Le Prophète, quant à lui, a maudit tout corrupteur et tout corrompu. Lorsque bien sûr une partie des biens qu'on a réservé aux pauvres se retrouve dans les ventres des cupides, lorsque aussi la corruption talonne les droits du pauvre, de la veuve et de l'orphelin, lorsque l'enrichissement illicite donne lieu au monopole de la richesse par une classe d'arrivistes sans scrupule, ne craignant pas Dieu et n'appréhendant aucunement Son châtiment, nous assistons alors à la déperdition des droits des humbles accompagnée par la ruine des valeurs et du sens moral. C'est justement là la raison pour laquelle l'Islam a tenu à émanciper les gens moralement afin de les préparer à la réalisation de la solidarité sociale.

- Afin que la solidarité ne soit pas un prétexte à l'inaction, le huitième objectif se rapporte au fait de faire jaillir les sources du travail dans la collectivité tout en gardant néanmoins ouverte la porte de la charité. C'est pourquoi les jurisconsultes musulmans ont établi que l'aumône légale (zakat) ne peut être donnée à quelque ascète qui a opté de se réserver à la prière dans les mosquées alors qu'il est tout à fait apte de travailler. On rapporte à cet égard que le Calife Omar, a dit à un groupe de personnes désœuvrées et qui prétendaient se résigner à Dieu: «Vous êtes des menteurs, celui qui se résigne (à Dieu) plante d'abord un grain puis s'en remet ensuite à Lui. Le Prophète (P.S) de son côté a dit: «Dieu aime la personne ayant une profession et abhorre celle qui ne fait rien»; ainsi que: «La plus noble des acquisitions pour un homme est celle qu'il produit par son travail manuel». Une tradition consignée par Abu Daoud, Al Bayhaqui ainsi que Tirmidhi rapportant qu'à un mendiant qui lui demandait l'aumône, le Prophète (P.S) a demandé s'il possédait quelque bien chez lui. L'homme lui dit qu'il n'avait que des couvertures et une cruche d'eau. Le Prophète lui dit alors de les apporter, puis les vendit aux enchères à deux dirhams qu'il remit à l'homme en lui disant: «Achète à un dirham quelque nourriture que tu laisses à ta famille et avec l'autre dirham achète une hache et reviens me voir»....Lorsqu'il revint, le Prophète (P.S) mit un manche à la hache et dit: «Fais-toi bûcheron et reviens après quinze jours». L'homme a pu ainsi gagner dix dirhams avec quoi il put acquérir vêtements et nourriture. Le Prophète lui dit alors: «Cela vaut mieux que ta mendicité qui apparaîtra comme un point noir sur ton

est bien réelle puisqu'elle se concrétise, lorsque cela est nécessaire, par le partage de la fortune, voire la nourriture quotidienne avec autrui.

Le sixième objectif consiste à développer chez l'être le sens de l'économie et de la pondération dans les dépenses pour qu'il évite tout gaspillage qui le mettrait un jour dans le besoin. On rapporte que le Calife Omar ibn al Khattab a demandé à un homme comment il dépensait pour les besoins de sa famille. A quoi l'homme répondit que sa manière de dépenser était une œuvre pie parce que placée entre deux mauvaises actions extrêmes, comme dit Dieu dans ce verset: **«Ce sont ceux qui, dans leurs dépenses, ne se montrent pas prodigues ni avaricieux, mais s'en tiennent, entre ces deux excès, au juste milieu».**

Certes, tant le gaspillage que l'avarice constituent à eux deux des extrêmes et c'est bien le juste milieu qui est une bonne action! Dieu dit en outre: **«Nous fîmes ainsi de vous la communauté du juste milieu, vous érigeant en témoin vis à vis des hommes, et instituant envers vous pour témoin Notre envoyé»,** de son côté, le Prophète (P.S) a dit: «La bonne guidance, la bonne direction et l'équilibre des choses font partie des vingt cinq vertus de la prophétie».

Le fait que la société en Islam soit fondée sur la simplicité de la vie, la médianité et le juste équilibre dans les dépenses rend la lutte contre les différences des classes plus facile et le coût de la solidarité sociale à la portée de tous.

- Le septième objectif s'assigne d'éduquer les gens pour qu'ils puissent vivre selon le principe de la modération, se satisfaire de ce que Dieu a rendu licite et se contenter de ce qu'ils acquièrent légalement, évitant ainsi la recherche de bien acquis illicitement par la corruption, l'usage du faux ou l'abus du pouvoir. Dieu dit en effet: **«Ne vous dépouillez pas injustement les uns les autres de vos biens, n'en faites pas usage pour corrompre le juge et vous emparer ainsi cyniquement du bien d'autrui».**

Tout cela fait assurèment partie de la solidarité, car une fois la personne devient meilleure en devenant croyante, elle pose moins de charges matérielles à l'Etat qu'un mauvais citoyen.

Outre le renforcement de la foi, le fait de faire connaître à l'être humain la véritable position qu'il occupe dans l'univers et de l'éduquer dans le sens de la générosité, l'Islam aspire à un quatrième bel objectif de son système éducatif original, à savoir ancrer chez l'être le sentiment de sa responsabilité tant individuelle que collective. Ainsi, l'homme est d'abord responsable vis à vis de lui-même conformément aux paroles où Dieu dit: **«Que ses actes seront jugés, puis amplement rémunérés».**

La collectivité aussi est responsable: **«J'en jure, par Ton Maître, que Nous leur demanderons à tous assurément ce qu'ils ont perpétré».**

Pour matérialiser cette responsabilité, rappelons que c'est un péché que le croyant passe sa nuit rassasié alors que son voisin est affamé, et que pendant une dure année de disette, appelée l'année grise (Ramada), le calife Omar avait établi une égalité complète entre les gens pour que, avait-il dit, «Personne ne meure à moitié affamé».

- Pour ce qui est du cinquième objectif de ce système éducatif au service de la solidarité sociale, celui-ci consiste à enraciner le sens de la fraternité entre les croyants. Dieu dit en effet: **«Certes les croyants sont des frères».**, et le Prophète de son côté a dit: «Par Dieu, ne croira parmi vous que celui qui désire pour son semblable ce qu'il aime pour lui-même». N'a-t-il pas d'ailleurs comparé la communauté des croyants dans leur affection fraternelle et leur compassion à un seul corps unique qui, lorsque l'un de membres de celui-ci souffre, c'est tout le corps qui s'en ressent par l'insomnie et la fièvre? Il a par ailleurs matérialisé cette fraternité entre les croyants, émigrés de la Mecque et auxiliaires de Médine, au point où chacun parmi ces derniers avait renoncé à la moitié de ses biens en faveur de son frère émigré. Cela, afin d'enseigner aux gens que la fraternité entre les croyants n'est pas un vain mot, ou de simples sentiments civils, mais qu'elle

Pour le Coran l'acte de bienfaisance doit être pur et accompli volontairement pour la seule satisfaction de Dieu et non pas pour en tirer un profit quelconque, par hypocrisie ou par simple apparat. Dieu dit en effet dans le chapitre «L'Homme» :

> **«Il offrait de leur nourriture, en dépit du besoin qu'ils en ont, au pauvre à l'orphelin et au captif». «Nous vous nourrissons uniquement pour plaire à Dieu, n'espérant de vous ni récompense ni remerciement»**; rappelons aussi ces versets de «La Génisse»: **«Ceux qui distribuent leurs biens dans le chemin de Dieu et le font sans arrière pensée, ceux-là trouveront leur récompense auprès de Dieu, et point ne connaîtront la crainte ni le chagrin. Une bonne parole, une simple excuse valent mieux qu'une aumône suivie de propos désobligeants. Dieu est infiniment riche. Il est le clément par excellence».**

Bienfaisance et charité sont abordés en Islam à partir d'un large concept. La signification relative à l'aumône est également assez vaste. Le but étant l'égalité dans l'acte de solidarité entre riches et pauvres. Ainsi, dans pareille communauté naît le sentiment général que de nombreuses portes s'ouvrent sur le bien et que l'incitation à la solidarité ne s'adresse pas aux seuls riches, mais que de grandes possibilités s'offrent également devant les pauvres pour être charitables et participer ainsi à la solidarité sociale.

Aussi, le prophète (P.S) a-t-il établi que tout acte bon et que tout travail manuel constituent une aumône, que le fait d'enlever les ordures de la route est une aumône, que le fait d'appeler au bien est une aumône, que s'abstenir de faire du mal est une aumône, que juger impartialement entre deux personnes est une aumône, que le fait d'assister une personne en l'aidant à grimper sur sa monture est une aumône, qu'une bonne parole et que chaque pas parcouru pour aller faire sa prière sont aussi une aumône.

course fiévreuse aux biens et aux enfants. Elle est à l'image d'un champ qu'une pluie féconde eût arrosé. Aussitôt l'on voit y croître une végétation abondante, qui flatte le regard du paysan*. Bientôt se desséchant, elle jaunit et n'est plus que débris qu'emporte le vent. Dans la vie future, ce sera ou tourment terrible, ou pardon et agrément de Dieu. La vie d'ici-bas est jouissance précaire et illusoire».

C'est pourquoi, l'Islam, dans bien d'autres versets, a veillé à ce que la conscience humaine soit toujours préoccupée par l'idée de la mort afin que l'être accomplisse son devoir envers autrui avant qu'il ne soit trop tard:

«Faites dépenses des biens dont nous vous avons pourvus avant que la mort ne surprenne l'un de vous et que celui-ci ne dise : «Seigneur, si seulement Tu m'accordais un délai, si bref soit-il, je ferais l'aumône et serais du nombre des vertueux !».

Le Coran a en outre voulu ancrer chez l'être des prédispositions à la générosité et extirper de son cœur avidité et avarice en l'incitant à faire don des biens qu'il aime: comme dans la sourate «La Résurrection»:

«Le butin est aussi pour ceux qui, établis dans leurs foyers et aussi dans la vrai foi, accueillent avec effusion ceux qui cherchent un asile auprès d'eux, n'éprouve nulle envie pour ce qui est octroyé à ces émigrés, et n'hésite pas à se priver de leur faveur, fussent-ils eux-mêmes dans le besoin. Ceux qui se gardent ainsi de l'avarice seront, en vérité les bienheureux»; ainsi que dans «La Génisse»: **«Croyants ! sur les biens que vous possédez, et sur les fruits du sol, suscités par Nous à votre usage, réservez le meilleur aux aumônes. Ne vous tournez pas vers ce qui est vil pour en faire dépense. Ne donnez pas ce que vous-mêmes n'acceptez qu'en fermant les yeux! Dieu est immensément riche, infiniment glorieux».**

devant un vieux juif mendiant à qui il a fait l'aumône et a ordonné au responsable des finances publiques de prévoir pour lui une rente prélevée sur les dîmes et de l'exonérer du tribut de capitation (Jizya). Ce même calife, ayant rencontré un moine chrétien atteint de lèpre a ordonné à la trésorerie publique qu'on lui réserve une pension viagère qui suffirait à ses besoins.

Citons par ailleurs l'engagement pris par Khalid ibn al Walid vis à vis des populations de Hira: «Pour tout vieillard ne pouvant plus travailler, atteint d'une maladie grave ou s'étant appauvri au point que ses correligionnaires lui font l'aumône, sera exonéré de la dîme et c'est le trésor public qui se chargera de lui et de ses enfants, qu'il se trouve en terre d'exil ou en terre d'Islam».

Le troisième objectif de ce système éducatif pour la réalisation de la solidarité sociale vise à forger l'être et à développer chez lui générosité et charité, tolérance et miséricorde. L'Islam y parvient grâce à une pédagogie adéquate dans le traitement du problème de la solidarité. Ainsi, cette pédagogie vise le for intérieur de la personne de manière à créer chez elle les dispositions naturelles pour l'accomplissement de l'acte de bienfaisance tout en aiguisant sa volonté, en ancrant en son cœur le sentiment de compassion et de l'élever ainsi vers l'action humanitaire idéale. «Soyez cléments avec ceux qui sont avec vous sur terre, Dieu le sera envers vous dans l'au-delà» ; «Ceux qui sont cléments, Dieu le sera envers eux» ; «Bien malheureux est celui qui n'a pas de compassion». Tant de traditions sont rapportées à cet égard !

Le Coran de son côté a abordé cette question en insistant sur ces objectifs moraux dans maints de ses versets inclus systématiquement dans toutes les sourates. Ainsi, il a tenu à atténuer chez la personne, par une certaine ascèse, l'amour des biens matériels dont il réduit l'importance pour qu'ils ne constituent pas une barrière face à la charité, comme dans ce verset du chapitre «Le Fer» :

«Sachez que la vie d'ici-bas n'est que jeu frivole, divertissement, apparat, vaines rivalités entre les hommes,

L'homme est le vicaire de Dieu sur terre comme le spécifie ce verset: **«Vint le jour où Dieu dit aux Anges : - J'ai résolu d'installer un lieutenant à Moi sur terre».**

Il est aussi responsable du dépôt divin :

«Nous avons certes proposé l'engagement au ciel, à la terre, aux montagnes. Tous refusèrent d'en assumer le dépôt et en furent effrayés. Seul l'homme s'en chargea...».

Il se caractérise enfin par l'honneur et la préférence que Dieu lui accorde:

«Nous avons simplement avantagé les fils d'Adam, leur avons facilité les routes du continent et de la mer, leur avons procuré les meilleures nourritures, et leur avons donné la prééminence sur bon nombre d'être crées par Nous».

Le dogme en Islam veut que l'être humain accède à sa véritable dignité d'homme. Aussi, la solidarité en Islam a-t-elle une dimension humaine et comprend aussi bien le croyant que l'impie, le vertueux que le non vertueux et la solidarité sociale est-elle d'abord l'affaire de l'homme appartenant à la société des hommes sans discrimination aucune. Dieu dit à ce propos:

«Quel usage devons-nous faire de nos richesses?» vous demanderont les croyants. Dis leur : «Aidez pécuniairement vos père et mère, vos proches, les orphelins, les pauvres, les voyageurs. Quelque bien que vous fassiez, Dieu le saura !».

Les versets ici ne spécifient pas si les parents, les orphelins ou les mendiants sont croyants ou non et n'établit aucune différence entre eux. On a rapporté que Asma' fille d'Abu Baker, que Dieu le bénisse a dit au Prophète: «J'ai connu ma mère alors qu'elle était impie, devrais-je l'évoquer dans mes prières ?» à quoi le Prophète répondit: «Sûrement que tu peux , prier pour elle». On rapporte par ailleurs que le calife Omar ibn al Khattab est passé

Le système islamique par contre leur réserve un comportement spécial dont la foi constitue la toile de fond et que Dieu résume ainsi dans ces versets :

> **«Ton Seigneur a ordonné de n'adorer que Lui seul. Il a prescrit d'être bon envers ses père et mère. Soit que l'un d'eux ait atteint la vieillesse, ou que tous deux y soient pauvres, étant à ta charge, garde-toi de leur marquer la moindre répulsion ou de leur manquer de respect! Parle leur toujours affectueusement! Fais preuve à leur égard d'humilité pour leur témoigner ta tendresse et dis: «Seigneur, aies pitié d'eux; comme ils le furent pour moi lorsqu'ils m'élevèrent tout petit».**

L'Islam considère la désobéissance aux parents comme un péché capital dont le châtiment est un séjour éternel en enfer.

Leurs besoins matériels sont donc à la charge de leurs fils et se trouvent le cas échéant, imposés par un juge.

Dans le même ordre d'idée, une grand-mère ou une tante sont considérées comme une mère. Si jamais ces vieux ne possèdaient pas d'enfants qui les prennent en charge, leur besoins dépendraient des finances publiques sans que ces personnes aient à participer à quelque caisse mutualiste que ce soit.

Deuxième objectif: parmi les objectifs que s'assigne le système éducatif pour la réalisation de la solidarité sociale, citons la nécessité d'inculquer à l'homme sa véritable place dans l'univers et le haut rang que Dieu lui a assigné par rapport aux autres créatures en faisant de lui son vicaire sur terre, en le chargeant du «dépôt» et en l'élevant dans sa dignité.

---

* NTD : Nous avons choisi l'exégèse qui explique «Kuffar» ici par paysan étant donné son contexte alors que des traducteurs, au français ont choisi de le rendre par «infidèle» comme Blachère et Mazigh.

solidaire, il est nécessaire de penser tout d'abord à édifier les gens dans leur foi et qu'il est impossible de faire régner la notion islamique de bienfaisance et de charité dans une société humaine où la foi en Dieu est ébranlée et défaite, qui ne craint pas Dieu et qui n'appréhende pas le jour de la résurrection et du jugement dernier. Cela, surtout que, comme nous l'avons déjà dit, la solidarité en Islam se compose de prescriptions et de normes divines à caractère contraignant. Comment donc une personne ayant une faible foi peut-elle s'y astreindre et s'y conformer? «Le renforcement de la foi n'est-il pas le principe premier auquel appellent les prophète ? Dieu dit à ce propos :

> **«A chaque communauté, il fut envoyé par Nous un prophète avec ce mot : «Adorez Dieu ! Fuyez le culte des faux dieux ! Certains, guidés par Nous, suivirent la bonne voie. D'autres, de toute éternité, devaient se perdre. Allez de par le monde ! Voyez la fin de ceux qui ont mis en doute Nos messages !».**

C'est là la première différence qui sépare le système de solidarité en Islam des systèmes positivistes. La solidarité en Islam se caractérise en effet par la foi. Son côté divin et la responsabilité qui en découle y sont respectivement terrestres et célestes. La solidarité dans les systèmes positivistes, quant à elle, est un concept matériel sans âme comportant tout juste des sentiments humains qui apparaissent et disparaissent sans conséquences aucunes.

L'Islam a tenu, par contre, que la foi authentique, mue par l'âme divine régne sur tout le peuple solidaire afin que les actions aient lieu selon la foi et tiennent compte de la rétribution divine. Ainsi, elles se parent de la dimension spirituelle qui elle, se trouve à la source du sens du sacrifice effectif. Nous pouvons à cet égard trouver une illustration dans le comportement que doit adopter le Musulman vis à vis de ses parents une fois vieux et impotents. Le système positiviste leur assure une domiciliation dans un hospice payé de leurs propres biens ou à partir de caisses d'épargne spécialisées où ils avaient participé au capital pendant qu'ils pouvaient encore travailler.

immédiats, mais ambitionne d'élargir cette solidarité à l'enseignement par la lutte qu'elle mène contre l'ignorance et l'analphabétisme en incitant chaque personne instruite à enseigner et cultiver son voisin proche.

Ibn Hajjar rapporte à ce propos que le Prophète (P.S) a dit: «Pourquoi certaines personnes, m'enseignent-elles pas, n'éduquent-elles pas et n'exhortent-elles pas (au bien) leurs voisins. Par Dieu que ces gens enseignent, exhortent et apprennent à leur voisins. Que tous deux s'enseignent réciproquement, apprennent et s'exhortent mutuellement, sinon je demanderai à Dieu de précipiter sur eux Son châtiment».

Nous allons montrer ci-après les principes sur lesquels se fonde la solidarité sociale en Islam dans l'ordre que nous avons exposé au début de notre conférence. Nous allons commencer donc par le premier principe, à savoir le principe éducatif qui se manifeste dans une série de règles établissement une éducation méthodologique et se proposant de promouvoir un nouvel être et une nouvelle société imprégnés, tous deux, d'un esprit solidaire.

C'est qu'en effet, aucun système social ne peut prétendre à la réussite sans justement une éducation permettant à l'être humain de vivre dès son enfance en famille et à l'école. Il ne peut y prétendre non plus sans une éducation qui gouverne la société par une éthique et des valeurs dont se nourrit et qui conserve la collectivité et les adopte comme une partie intégrante de son identité.

L'organisation éducative adoptée par l'Islam, à cet égard, vise la réalisation des objectifs suivants:

- 1er objectif: le renforcement de la foi. Nous avons vu que dans le hadith, point de départ de notre conférence, le Prophète (PS), avant de prescrire à Mu'ad ibn Jabal de prélever une dîme chez les riches au profit des pauvres, il lui a d'abord demandé d'appeler les gens du Livre à témoigner qu'il n'y a pas de dieu en dehors d'Allah et que le prophète Mohammad est Son envoyé. Cela signifie que si en Islam nous aspirons à une société

fournir l'effort intellectuel nécessaire pour saisir le contenu et les secrets de ses principes, nous ne pouvons ignorer ce à quoi les sociétés humaines sont parvenues au bout d'une longue expérience, de recherches en sciences sociales, politiques et économiques ainsi que dans leur poursuite d'un système précis et opérationnel à même d'assurer la solidarité et l'entraide entre les gens dans le respect et la dignité. Nous sommes donc appelés, nous autres Musulmans, à tirer profit de ces systèmes en y puisant ce qu'il y a de meilleur.

1) Le fondement éducatif :

J'essaierai, dans cette conférence que Sa Majesté, que Dieu perpétue ses bienfaits et sa générosité, m'a fait l'honneur de donner ici, de présenter une rapide vue d'ensemble sur le système de la solidarité sociale en Islam de manière à en faire apparaître les caractéristiques et à convaincre les gens de ses grandes valeurs, et des hautes vertus qu'il comporte.

D'emblée, je tiens à reconnaître que votre discours, Majesté, la Nuit Grandiose du Destin (Laïlat al Kadr) du mois de Ramadan de l'année dernière et où vous aviez appelé à la mise en application de l'aumône légale (zakat), a guidé de ses lumières ma conférence et que la semaine de solidarité pour la lutte contre la pauvreté qu'a présidée avec toute la compétence requise Son Altesse Royale le Prince Héritier Sidi Mohammad, a suscité l'ensemble des méditations que j'aborde dans mon exposé.

J'ai déjà dit que la solidarité en Islam ne se contentait pas de simples conseils et exhortations et qu'elle constituait un système législatif complet et un programme social global. L'objectif principal en est le fait d'assurer à tout être une vie digne dans une société qui lui préserve son droit à la subsistance, au domicile et au travail, quand il en demande, qui lui conserve sa vie, ses biens et sa dignité.

Nous trouvons à ce propos en Islam bien des exemples édifiants qui élèvent son système social à un niveau civilisationnel unique en son genre. Car, cette religion ne se contente pas d'assurer des besoins matériels

une introduction et quatre volets à partir de quatre principes que je juge comme constitutifs des fondements de la solidarité sociale en Islam.

- Principe éducatif,
- Principe économique et financier,
- Principe législatif,
- Principe exécutif.

Je demande donc à Dieu de m'assister dans ma tâche.

Lorsque nous évoquons la solidarité sociale en Islam, certaines personnes pensent que cette religion n'a fait qu'indiquer, concernant ce problème, un ensemble d'exhortations, de conseils et d'incitations diverses dans le but de susciter la pitié des généreux bienfaiteurs et des croyants pieux. Il ne leur vient pas à l'esprit que la solidarité en Islam est conçue selon une législation précise et une organisation solide tellement bien agencée que l'Etat est dans l'obligation de faire respecter et d'en préserver les normes et les principes. Certes, l'Islam, concernant les domaines touchant la vie de l'homme a déterminé des objectifs principaux conformes aux besoins de la vie quotidienne et à des obligations qu'il tient à préserver et à améliorer.

L'Islam ne s'est en fait pas contentée de préserver tout cela par des prescriptions générales et des exhortations, mais plutôt par des normes astreignantes, précises et détaillées ainsi que par les dispositifs exécutifs de ces normes.

L'Islam n'est donc pas uniquement une religion de prédication et d'exhortation, une religion de l'eschatologie et du spirituel, mais aussi celle de l'organisation de la vie ici-bas, ce qui en fait une culture, une civilisation et un mode de vie. Il présente en outre à la société un substitut à leur vie sociale matérielle en l'élevant spirituellement vers des valeurs divines gouvernant la personne humaine, l'institution étatique et l'entité sociétale.

Cependant, si, en abordant la solidarité sociale, nous appelons les gens à méditer ce que l'Islam préconise comme règles et normes en les incitant à

Ce qu'il convient du de retenir du hadith

Dans le chapitre «Prélèvement des aumônes au profit des pauvres là où ils se trouvent», les jurisconsultes disent qu'il est clair que l'aumône est au profit des pauvres de la région où on l'a prélevée chez leurs riches et qu'il n'est pas permis qu'une autre région en profite. C'est là l'opinion de la majorité des jurisconsultes. Et si le produit de cette dîme est transposé dans une autre région, il est alors pour l'école juridique malékite pour qu'il soit fractionné alors que l'école chafi'ite est pour qu'il reste indivis.

Les paroles où le Prophète dit: «Tu te présenteras d'abord aux gens du Livre» comportent un avertissement se traduisant par le fait que ces gens détiennent la Science et qu'il ne convient pas d'user avec eux du même discours qu'on adresserait à des ignorants parmi les polythéistes et les idolâtres. Par ailleurs «Une dîme est prélevée chez leur riches» prouve que la collecte de cette dîme est le fait de l'Imam qui en charge des percepteurs et que par conséquent celle-ci est prélevée par une autorité lorsque le redevable refuse de s'en acquitter, conformément au verset coranique où Dieu dit: **«Prélève de leurs biens une aumône...».**

Quant à: «Garde-toi de prélever leurs objets précieux» signifie que cela n'est possible que s'ils y consentent eux-mêmes.

La solidarité sociale : une structure législative

Les fondements de la solidarité sociale :

C'est à partir de ce hadith béni où le thème de ma conférence est clairement explicité que je voudrais vous entretenir de la solidarité en Islam tout en espérant que ce hadith m'éclaire et inspire mon discours par les profitables enseignements qu'il recèle. Mon thème apparaît clairement dans le propos du Prophète aussi bien lorsqu'il aborde la dîme prélevée sur les biens des riches au profit des pauvres et les produits précieux que lorsqu'il met en garde contre la protestation de l'opprimé. Ma conférence comportera

Ce qu'il convient de retenir du hadith

La solidarité sociale : une structure législative

** Les fondements de la solidarité sociale :*

1) Le fondement éducatif :

2) Le fondement économique et financier :

3) Le fondement législatif :

4) Le fondement exécutif :

alors que chez Muslim Ibn Abbas rapporte le hadith d'après Mu'ad ibn Jabal d'après le Prophète (P.S). Ce qui nous fait supposer que le hadith ou bien s'appuie sur l'autorité du Prophète (marfu^{c}), car rapporté d'après ibn Abbas, d'après Mu'ad ibn Jabal d'après le Prophète, ou bien (mursal) parce que non rattaché à l'autorité du Prophète étant donné que le dernier garant (Mu'ad) y manque dans la chaîne présentée par Bukhari. Ajoutons par ailleurs que ce propos fait parti de la catégorie de hadith «isolés» (ahad).

Bukhari al Ju'fi- que Dieu ait son âme et soit satisfait de lui, dans la section «al Zakat» (aumône légale) de son corpus authentique de hadith, chapitre «Prélèvement de la zakat sur les biens des riches au profit des pauvres où qu'ils soient»;

Texte du hadith etsa chaîne de garants

Bukhari dit: -Mohammad nous a rapporté, d'après Abdallah, d'après Zakariya ibn Ishaq, d'après Yahya ibn Abdallah ibn Sifi, d'après Abu Ma'bad, protégé d'Ibn Abbas, d'après celui-ci qui a dit: -Le Prophète (P.S) a dit à Mu'ad ibn Jabal lorsqu'il l'avait envoyé en mission au Yemen: - Tu auras affaire à des gens du Livre. Une fois parmi eux, invite-les à témoigner qu'il n'y a pas de Dieu en dehors de Dieu et que Mohammad est son envoyé. S'ils s'y conforment et te l'accordent, informe-les que Dieu leur prescrit cinq prières par journée. S'ils te l'accordent informe-les alors que Dieu leur a prescrit une aumône prélevée auprès de leurs riches au profit de leurs pauvres. S'ils acceptent cela, respecte alors leurs biens et crains surtout la réclamation du pauvre, car entre lui et Dieu il n'existe aucun voile».

Majesté, Bukhari rapporte ce même hadith dans le chapitre «on ne prélève pas concernant l'aumône des personnes» dans la même «section», ainsi que dans le chapitre «Envoi de Abu Mussa et de Mu'ad ibn Jabal au Yémen avant le pèlerinage d'adieux» dans la section «Les conquêtes».

Ce Hadith a été par ailleurs rapporté par l'Imam Muslim dans le chapitre «L'évocation par les deux témoignages de foi et les Lois islamiques» dans la section «La Foi» de son «Corpus authentique» (Sahih), ainsi que Abu Dawud, Tirmidhi, Ahmed, Ishaq ibn Rahwiya, Ibn Khuzaïma et d'autres.

Précision conceptuelle

Précisons que dans la chaîne de garants citée ici d'après Bukhari, Ibn Abbas rapporte le propos directement et sans intermédiaire du Prophète (P.S),

La solidarité sociale en Islam

Préambule

Au nom de Dieu, Le Clément et Miséricordieux.

Louange à Dieu, maître des mondes et le plus bienveillant parmi les miséricordieux, que la paix et la prière soient sur le Prophète envoyé en tant que miséricorde aux univers, une prière qui nous délivre de nos illusions et nous éclaire des lueurs de l'entendement jusqu'à nous édifier sur ce que nous ne parvenons pas à comprendre. Dieu! C'est Toi qui sais alors que nous ne savons pas; Toi qui connais l'inconnu! Nulle force et nulle puissance que par le Très Haut. Nous nous remettons à Lui quand à nos intentions et nos impiétés. Celui que Dieu guide jamais ne s'égarera et celui qu'Il égare ne retrouvera jamais le droit chemin.

Le meilleur propos est le Livre de Dieu, la meilleure voie et celle de notre maître le Prophète (P.S) et la pire des choses réside dans l'innovation (blâmable) et toute innovation (blâmable) est hérésie et toute hérésie même à enfer.

Majesté,

Emir des croyants, vous en qui pauvres et malheureux nourrissent leurs espoirs, père clément des orphelins et des humbles et de qui Dieu a fait une ombrelle de justice où viennent s'abriter le faible et l'opprimé.

Je vous salue vous et votre honorable assemblée, que la clémence et la bénédiction de Dieu soient sur vous.

Par une chaîne de garants ininterrompue parvenant jusqu'au savant Imam Abu Abdellah Mohamad ibn Ismaïl ibn Ibrahim ibn Bardazaba al

Introduction :

Texte du hadith et sa chaîne de garants.

— Précision conceptuelle

Les Points de la Conférence

Préambule

Introduction : Texte du hadith et sa chaîne de garants.

— Précision conceptuelle

Ce qu'il convient de retenir du hadith :

La solidarité sociale : une structure législative

Les fondements de la solidarité sociale :

1) Le fondement éducatif

2) Le fondement économique et financier

3) Le fondement législatif

4) Le fondement exécutif.


Conclusion

Le rôle des habous dans le rayonnement de la civilisation musulmane.

A partir du propos où le Prophète (P.S.) dit:

«Le Prophète (P.S) a dit a Mu'ad ibn Jabal lorsqu'il l'avait envoyé en mission au Yemen: -Tu auras affaire à des gens du Livre. Une fois parmi eux invite-les à témoigner qu'il n'y a pas de dieu en dehors de Dieu et que Mohammed est son messager. S'il s'y conforment et te l'accordent, informe-les que Dieu leur prescrit cinq prières par journée. S'ils s'y conforment aussi, informe-les alors que Dieu leur a prescrit une dîme prélevée auprès de leurs riches au profit de leurs pauvres. S'ils acceptent cela, respecte alors leurs biens et crains surtout la réclamation du pauvre, car entre lui et Dieu il n'existe aucun voile».

(Rapporté par Bulkhari, que Dieu le bénisse)



La solidarité sociale en Islam

Conférence religieuse

animée en présence de Amir-Al-Mouminine
S.M. le Roi Hassan II – que Dieu l'ait en Sa sainte miséricorde
par le Dr Abdelkébir ALAOUI M'DAGHRI
Ministre des Habous et des Affaires Islamiques.
Le Vendredi 6 Ramadan 1419
correspondant au 25 décembre 1998
dans l'anceinte du Palais Royal à Rabat.

La solidarité sociale en Islam

Dr. ABDELKEBIR ALAOUI M'DAGHRI



La solidarité sociale en Islam

Dr. Abdelkébir ALAOUI M'DAGHRI